سلسلة شروح وتعليقات على كتب التوحيد (٥)

كشف الشبهات

تحقيق وتعليق

أبي عبد العزيز

تركي بن مسفر بن هادي مجلي العبديني





مقدمة

الحمد لله المتفرد بالكمال، المستحق للإفراد بأنواع التعبد والابتهال.

وأشهد أن لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بدأ - امتثالا لأمر ربه- بالدعوة إلى إخلاص الدين، وتحقيق عبادة رب العالمين ﷺ، وعلى آله وصحابته الذين قاتلوا بعده من أشرك بالله، أو كذب رسوله، وعلى أتباعهم بحق إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه لا يشك مسلم في أهمية التوحيد الخالص، وضرورته للبشرية أجمع، فلم يزل ربنا تعالى يرسل إلى الناس الرسل يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه، وهكذا قام أتباع الرسل بتبليغ التوحيد.

وممن قام في العصور المتأخرة بتجديد ما اندرس من معالم التوحيد الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله- فأثار خصومه الشبه وأرادوا قطع طريق دعوته، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره.

ألف الشيخ المؤلفات النافعة ومنها هذا الكتاب الذي سماه: كشف الشبهات.

وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة، وشرح بشروح عديدة متنوعة.

وقد يسر الله لي المرور على كثير من شروحه، وكتب أخر فاجتنيت منها ما رأيته مناسبًا للطلاب الدارسين لهذا الكتاب محاولًا تقديمه في أخصر عبارة، وأتم مضمونًا، وترتيبًا.

وهناك شروح جيدة موسعة لهذا الكتاب انتقيت منها المفيد، وعولت على الإفادة للطالب أكثر من الحشو وتكرار العبارات المترادفة وإن كانت من عالمين، وربما كررت للحاجة وزيادة الفائدة في بعض المواضع.

وقد قابلت الكتاب على عدة مخطوطات، ومطبوعات قيمة كطبعة القاسم وهي أفضل طبعة، وطبعة دغش العجمي، وفيها ما يحتاج لتصحيحه.

وأسأل الله أن ينفعنا بالعلم النافع وأن يعيننا على العمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في الأعمال والأقوال ظاهرًا وباطنًا.

وكتبه:

أبو عبد العزيز

تركي بن مسفر مجلي العبديني



اسم الكتاب

المعروف والمتداول والمشهور عند العلماء تسمية هذا الكتاب بـ

كشف الشبهات

سماه كذلك من تلاميذ الشيخ المؤرخ حسين بن غنام في تاريخ نجد ص ٢٢٥ .

ومن بعده: صاحب التيسير الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله.

وصاحب فتح المجيد الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ العلامة: عبد اللطيف بن عبد الرحمن.

وتتابع عدد من العلماء كالألوسي، وابن سحمان، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وابن قاسم ، وهكذا العلماء المعاصرون على هذا الاسم.

وهكذا جاء الاسم في النسخ الخطية وهي كثيرة.

وما جاء خلاف هذا الاسم ككشف الشبهة، وكشف شبهة المرتاب وغيرها هو تعبير عنه أو اختصار وليس تنصيصًا على اسمه.

موضوع الكتاب

يدل عنوانه على أنه كشف لشبهات أهل البدع والضلال ودعاة الشرك.

وقد بين ذلك غير واحد.

فقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٩٨هـ) في شرحه عليه ص ١٣:

هذا الكتاب جواب لشبه اعترض بها بعض المتنسبين للعلم في زمانه عليه؛ فإن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لما تصدى لبيان التوحيد والدعوة إليه وتفصيل أنواعه والموالاة والمعاداة فيه ومصادمة من ضاده وكشف شبه من شبه عليه -وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت وبين ما عليه الكثير من الشرك الأكبر- اعترض عليه بعض الجهلة المتمعلمين أزَّهم إبليس فجمعوا شبها شبهوا بها على الناس، وزعموا أن الشيخ رحمه الله يكفر المسلمين وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفر إلا من عمل مكفرا، وقامت عليه الحجة، فأجابهم المصنف بهذا الكتاب، وما يميز به المنصف ما عليه الشيخ وأتباعه وما عليه أولئك.

وقدم مقدمة في بيان حقيقة دين المسلمين وما دعوا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه. وبين أن مشركي زمانه هم أتباع دين المشركين. اهـ.

وقال الشيخ العثيمين في «شرح كشف الشبهات» (ص١١):

«أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك، وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى ووضوح العبارة».



كشف الشبهات

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ– :

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين، وعليه نتوكل ولا حول ولاقوة إلا بالله]

- اعْلَمْ – رَحِمَكَ اللَّهُ – أَنَّ اَلتَّوحِيدَ[١] هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالعِبَادَةِ[٢].

وَهُوَ: دِينُ الرُّسُلِ[٣] اَلَّذِي أَرْسَلَهُم اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ.

فَأَوَّلُهُمْ: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ: وَدًّا، وَسُوَاعًا، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا.

وآَخِرُ الرُّسُلِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ: اَلَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلاءِ الصَّالِحِينَ.

---

(١) عرف الشيخ –رَحِمَهُ اللهُ– التوحيد ببعض أفراده وهو توحيد العبادة، وهو أهم أنواعه وآكدها، وإن كان التوحيد يطلق على ما هو أعم من ذلك فيراد به: إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية وكمال الأسماء والصفات. لكن توحيد العبادة هو الغاية والقصد فلا يصح الإسلام إلا به، وهو يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأما توحيد الربوبية والأسماء والصفات فيستلزم توحيد العبادة.

(٢) هذه هي القاعدة الأولى من قواعد مجادلة المشركين وهي تعريف التوحيد وحقيقته.

(٣) الدين مصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه كما يقال دانه إذا أذله. فالعبد يدين الله أي يعبده ويطيعه فإذا أضيف الدين إلى العبد أو الرسول فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله تعالى فلأنه المعبود المطاع. الفتاوى (١٥/١٥٨).

أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أُنَاسٍ: يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ(١).

وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ تعالى(٢).

يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُم التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى -، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ، مِثْلَ الْمَلائِكَةِ وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِن الصَّالِحِينَ(٣).

فَبَعَثَ اللهُ إليهم مُحَمَّدًا ﷺ:

[أ] يُجَدِّدَ لَهُمْ دِينَهُمْ - دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام -.

[ب] ويُخْبِرَهُمْ أَنَّ هَذَا التقَرُّبَ وَالاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى(٤)، لا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِهِ لا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلا لنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا.

---

(١) هذه هي القاعدة الثانية. وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله -ﷺ- يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل.

(٢) قال شيخ الإسلام في الواسطة بين الحق والخلق (ص: ٣٩) وضمن الفتاوى(١/١٣٤): من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عُبّاد الأوثان كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله.

(٣) هذه هي القاعدة الثالثة: وهي أن تعرف أن هؤلاء المشركين ما قصدوا بعبادتهم إلا التقرب والشفاعة من معبوداتهم عند الله. من شرح الهبدان ص ٢٣.

(٤) أي: خالص حق الله من العبادة. فمحض حق الله تعالى يرجع إلى المسألتين الأولى: التقرب، والثانية: الاعتقاد، لأن هناك من يعتقد ولا يتقرب، وهناك من يتقرب ويعتقد، فكل المسألتين محض حق الله تعالى فنفهم من هذا أن من اعتقد الشرك ولم يفعله فإنه مشرك كالذي فعله. اهـ من شرح الشيخ صالح آل الشيخ.



* وَإلاَّ فَهَؤُلاءِ الْمُشْرِكُونَ:

- يَشْهَدُونَ أنَّ اللَّهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

- وَأَنَّهُ لا يَرْزُقُ إِلاَّ هُوَ.

- وَلا يُحْيِي وَلا يُمِيتُ إِلاَّ هُوَ.

- وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلاَّ هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِن كُلَّهُمْ عَبِيدُهُ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ[1].

* فَإِذَا أَرَدت الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ - الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ- يَشْهَدُونَ بِهَذَا فَاقْرَأْ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١] .

وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

---

(١) هذه هي القاعدة الرابعة – من قواعد التوحيد-: وهي أن تعرف أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله –ﷺ– مقرون بتوحيد الربوبية. من شرح المبدان ص ٢٤.

* إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا، [وَأَنَّهُ] لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١)، وَعَرَفْتَ أنَ التَّوحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ، الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ(٢). كما كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ ﷻ لَيْلاً وَنَهَاراً.

* ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو اَلْمَلاَئِكَةَ:

- لأَجْلِ صَلاحِهِمْ.
- وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تعالى؛ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ(٣).

---

(١) هذه هي القاعدة الخامسة: وهي أن إقرار الكفار بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام لأنهم لم يخلصوا لله وحده. من شرح الهبدان ص ٢٣.

(٢) أي: يسمون توحيد الألوهية بالاعتقاد. والاعتقاد هو التأله، والمألوه هو الذي يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم، أي: يقصده بالعبادة والدعوة والخشية والاجلال والتعظيم. انظر: الدرر السنية ١/٤٢٨.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: فيقولون: فلان فيه عقيدة، يعني الصلح أن يعتقد فيه أنه ينفع؛ إذا ادَّعوا في شخص الاعتقاد، يعني الادعاء فيه الألوهية. اهـ فتسميتهم الشرك بالاعتقاد أو بالتوسل وتغيير حقائق الأسماء والألفاظ لا يعني تغيير المعاني لأن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ.

وقال الشيخ ابن سحمان: من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها، كتسمية عبادة غير الله، توسلاً وتشفعاً، أو تبركاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً، فإن الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً لا مع الأسماء. الضياء الشارق ص ٤٠٨.

(٣) ولم يكن للملائكة عندهم أوثان وأصنام كما جعلوا للكواكب أو الموتى أو الصالحين وإنما أرواح الملائكة عندهم منتشرة والاتصال بها يكون بندائها وبعبادتها فتأتيهم الجن إذا نادوا الملائكة وتغيثهم الجن فيما أقدرهم الله عليه ويظنوا أن ذلك من جهة الملائكة .

* أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحاً مِثْلَ: اللاَّتِ. * أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ: عِيسَى[(١)].

وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلاَصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وحده، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[(٢)] [الجن:١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾[(٣)] [الرعد:١٤].

---

(١) هذه القاعدة السادسة: وهي أن تعرف أن النبي -ﷺ- ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار وقاتلهم رسول الله -ﷺ- ولم يفرق بينهم. الدرر السنية (١٨/٢).

(٢)وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصلوات قاله ابن عباس. قال قتادة كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا فأمر الله -عز وجل- المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم. والثاني: الأعضاء التي يسجد عليها العبد قاله سعيد بن جبير وابن الأنباري وذكره الفراء فيكون المعنى لا تسجدوا عليها لغيره. والثالث أن المراد بالمساجد ها هنا البقاع كلها قاله الحسن فيكون المعنى أن الأرض كلها مواضع للسجود فلا تسجدوا عليها لغير خالقها. والرابع: أن المساجد: السجود، فإنه جمع مسجد يقال سجدت سجودًا ومسجدًا كما يقال ضربت في الأرض ضربًا ومضربًا، ثم يجمع فيقال المساجد والمضارب. قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها مسجَدًا بفتح الجيم، والمعنى: أخلصوا له ولا تسجدوا لغيره. زاد المسير لابن الجوزي (٨/٣٨٢-٣٨٣).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: فإنه قوله:﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾يفيد الحصر، أي فدعوة الحق له لا لغيره فدعوة غيره ليست من الحق في شيء. وقوله:﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾فهذا الاسم لا يستعمل إلا في حق من يعقل كما هو معروف عند النحاة.

وقوله:﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ فيه دليل على أن المراد دعاء المسألة، فأخبر سبحانه أنهم لو دعوهم فإجابتهم لهم فيما سألوهم ممتنعة منتفية بالكلية. القول الفصل النفيس ص ٨٩.

* وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ: الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ.

وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلاَمِ.

وَأَنَّ قَصْدَهُم الْمَلائِكَةَ، أَوْ الأنْبِيَاءَ، أَوْ الأَوْلِيَاءَ - يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ- هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)[1].

فَإِنَّ الإِلَهَ عِنْدَهُمْ: هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، سَوَاءً كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ (الإِلَهَ) هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ.

---

(١) بيّن المصنف معنى كلمة التوحيد ومعنى الإله ، فقال: اعلم أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات ، لا إله نفي، إلا الله إثبات، تنفي أربعة أنواع، وتثبت أربعة أنواع، المنفي: الآلهة والطواغيت والأنداد والأرباب، والمثبت: القصد والمحبة والخوف والرجاء، فالقصد كونك ما تقصد إلا الله. الدرر ٢/ ٦٢ باختصار.

وقرر معنى الإله في غير موضع فقال: فإن الإله هو المقصود المعتمد عليه، وهذا أمر هيّن عند من لا يعرفه، كبير عظيم عند من يعرفه. وقال في موضع آخر: والإله من التأله وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة.

وقال: -أيضاً -الإله: المقصود المدعو المرجو. انظر: الدرر السنية ٢/ ٢١ باختصار، وتاريخ ابن غنام ٢/ ٢٩٩، ٢/ ٥٢. وانظر: الفتاوى لابن تيمية (١/ ٣٥).

وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ(الإِلَهِ) مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّدِ)[١].

فَأَتَاهُم النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

وَهِيَ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ).

والْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لاَ مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكُفَّارُ الْجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ - تَعَالَى - بِالتَّعَلُّقِ، وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص:٥].

---

(١) علق الشيخ عبد اللطيف على عبارة الشيخ في منهاج التأسيس ص ٣١٣-٣١٤ فقال:
وهذا صحيح، فإن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يدعى ويستغاث به في الشدائد ويرجى للنوازل، ويحلف باسمه، وينحر له على وجه التعظيم والقربة.
وبعضهم يطلق على ذلك اسم: الولي، كما هو اصطلاح أهل مصر.
وبعضهم يسمي هذا المعنى: السر، فيقول: فلان فيه سر، ومن أهل السر.
وهذا مشهور معروف، والاصطلاحات تحدث، واللغات تختلف، والفقهاء أطلقوا الأحكام المترتبة على المعاني والمقاصد، وإن اختلفت الأسماء، وتغيرت اللغات. اهـ.
وأوضح الشيخ هذه العبارة في مؤلفاته الأخرى، فقال: وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر، فمعلوم أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامنا:
(السيّد) و (الشيخ)، و(الذي فيه السر).
والعرب الأولون يسمّون الألوهية ما يسميها عوامُنا (السر)؛ لأن السر عندهم هو: القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يُدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه.
انظر: تاريخ ابن غنام ٢/ ١٠٦.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَف جُهَّالُ الْكُفَّارِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَانِي.

وَالْحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلا يُدَبِّرُ الأمر إِلاَّ اللَّهُ وحْدَهُ.

فَلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الْكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعَنى (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ).

إِذَا عَرَفْتَ: مَا ذكرتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ.

وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨].

- وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِه الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، الَّذِي لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دينًا سِوَاهُ.

- وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبَ النَّاسِ فيهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا.

أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ: الأُولَى: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس:٥٨] [(١)].

والثَّانية: أَفَادَكَ أَيْضاً: الْخَوْفَ الْعَظِيمَ.

(١) فسرّ ابن عباس وقتادة والحسن هذه الآية، فقالوا: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن.
وقال ابن القيم في المدارج (١٥٦/٣) معلقاً على هذا التفسير: فجعلوا رحمته أخص من فضله، فإن فضله الخاص على أهل الإسلام، ورحمته بتعليم كتابه لبعضهم دون بعض، فجعلهم مسلمين بفضله، وأنزل إليهم كتابه برحمته. ولكلامه تتمة.

- فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ مازحًا.
  - وَقَدْ يَقُولُهَا – وَهُوَ جَاهِلٌ – فَلا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ(١).
  - وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنَّ أَنَّهَا تُقَرِّبهُ إِلَى اللَّهِ تعالى، كَمَا ظَنَّ الْمُشْرِكُون.

خُصُوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ تعالى مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى عليه السلام مَع صَلاحِهِمْ وَعِلْمِهِمِ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

---

(١) فالشخص لا يعذر بالجهل إذا كان مفرطاً ومقصراً في التعليم، فكل جهل يمكن للمكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل. وأما من كان عاجزاً فلم يقصر أو يفرّط فإنه يعذر بالجهل حتى تقوم عليه الحجة، كمن أسلم حديثاً. وأيضًا فالشخص يعذر بالجهل في المسائل الخفية، دون المسائل الظاهرة الجلية، كما حقق ذلك الشيخ المصنف بقوله: إن الشخص المعين، إذا قال ما يوجب الكفر، فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يعلم من الدين بالضرورة، فهذا لا يتوقف في كفر قائله، ولا تجعل هذه الكلمة عكازة تدفع بها في نحر من كفّر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجة ووضح المحجة.
ويقول أيضاً: إن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة. انظر: الدرر السنية ٨/٢٤٤، فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/٧٣، ٧٤، ومؤلفات الشيخ (الفتاوى) ٣/١٢، وشرح كشف الشبهات للشيخ العثيمين ص ٣٥.

فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكُ، وَحِرْصُك عَلَى مَا يُخَلِّصُكُ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِه(١).

• وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حِكْمَتِهِ(٢) لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً بِهَذَا التَوْحِيدِ إِلاَّ جَعلَ لَهُ أَعْدَاءً(٣) كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢](٤).

---

(١) أي من الوقوع في الشرك. ومن أسباب الخلوص منه:

أ-معرفة وسائل الشرك وذرائعه التي توصل إليه.

ب-الابتهال إلى الله تعالى وسؤاله الثبات على التوحيد.

(٢) من الحكم:

أ-الابتلاء والتمحيص. ب- أن الحق لا يظهر إلا إذا قاومه أهل الباطل وعارضوه.

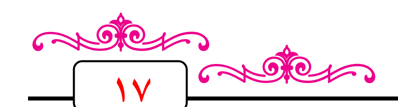
(٣) هؤلاء الأعداء:

أ- إما جاهلون بما هم عليه، وإنما يقلدون أشياخهم، وهؤلاء هم الأكثر.

ب-أو عندهم علم مغلوط يغالطون به الحق، وشبه يدفعون بها الحق، وهؤلاء قلة لكن هم الذين يحصل منهم الضرر والصد لأتباعهم وللموحدين. قال الشيخ محمد بن إبراهيم في شرحه ص ٤٣: وهذه حكمة بالغة؛ ابتلاء الأخيار بالأشرار ليكمل للأخيار مراتب الجهاد.

(٤) قال شيخ الإسلام: فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء وهم شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يغررون به. والغرور: هو التلبيس والتمويه. وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل.. الفتاوى (٩/ ٣٣).

قال بعضهم: إنه بدأ بشياطين الإنس لأنهم أعظم في هذا المقام من شياطين الجن؛ لأن شيطان الإنس يأتي في صورة ناصح مُحب لَيِّن الجانب واللسان. شرح ابن إبراهيم ص٤٤.



وَقَدْ يكُونُ لأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وكتبٌ وَحُجَجٌ(١)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر:٨٣].

- إِذا عَرَفْتَ ذَلِكَ. وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ، وَعِلْمٍ، وَحُجَجٍ.
- فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ: أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ سِلاحًا لَكَ(٢) تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ، وَمُقَدَّمُهُمْ لِربكَ تعالى:

﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧](٣).

---

(١) لكنها ظنون لا تغني من الحق شيئًا.

فائدة: قال العثيمين باختصار ص ٤٧: فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل واتباعهم وعلى ما جاءوا به بأمرين: الأول: التشكيك. الثاني: العدوان. ولذا قال -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ هاديًا لمن يحصل له شك، ونصيرًا لمن يقع عليه عدوان.

(٢) وهذا السلاح الذي يحفظك يكون بأمرين: أولًا: أن يكون لديك علم بالأدلة الشرعية والحجج العقلية التي تحاج بها هؤلاء بالتي هي أحسن.

وثانيًا: أن تعرف ما عندهم من الباطل – وهذا في حق القادر على معرفة ذلك- والرد عليهم.

(٣) قال ابن عباس: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني الدنيا والآخرة ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ يعني الآخرة والدنيا.

﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أشبّه عليهم أمر دينهم، وعنه أيضاً: من قبل الحسنات.

﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ الباطل أرغبهم فيه. قال الحسن: السيئات يحثهم عليها، ويزينها في أعينهم.

وقال قتادة: أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه إلا أنه لم يأتك من فوقك، ولم يستطع أن يحول =

وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -.

وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللَّهِ، وَبَيِّنَاتِهِ، فَلا تَخَفْ، وَلاَ تَحْزَنْ:

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء:٧٦] [١].

وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ[٢] يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِين، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات:١٧٣] .

= بينك وبين رحمة الله. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٣/ ١٦٦).

(١) قرر الشيخ أن جهاد المبتدعة والردّ على الخصوم يحتاج إلى أمرين مهمين:

أحدهما: الإقبال على الله تعالى، والتعلق به -عَزَّ وَجَلَّ-، والتوكل عليه.

والآخر: بذل الأسباب من التفقه والتعلم وإعداد العدة.

(٢) (والعامي من الموحدين) الذي عرف أدلة دينه وإن كان ليس بفقيه ولا عالم، ليس المراد العامي الجاهل اللّٰهم إلا أن يوفق العامي الذي لا يعرف لحجةٍ عقلية وهو نادر.

(يغلب ألفًا) بل الألوف (من علماء هؤلاء المشركين)، لأن حجج المشركين ترهات، وأباطيل، ومنامات كاذبة، وما كان معهم من الحق فهو رد في الحقيقة عليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. فهذه الآيات أفادت حصر الغلبة في جند الله وهو يقتضي بعمومه الغلب في جميع النواحي: الحجة واللسان والسيف والسنان. ولا يرد عليه تسليط أهل الشر في هذه الأزمان، فإنه بسبب إضاعة الدين، وإلا دينُ رب العالمين محفوظٌ مؤَمَّنٌ بحفظ من يقوم به، ولا تظن أنه يرد عليه إدالة أهل الباطل بعض الأحيان فإنه تمحيصٌ ورفعة، وغرور لأهل الباطل. من كلام ابن إبراهيم ص ٤٨-٤٩.

فَجُنْدُ اللَّهِ – تَعَالَى –[١] هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ.

كَمَا أَنَّهُم هُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ[٢].

وإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ.

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ:

﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل:٨٩].

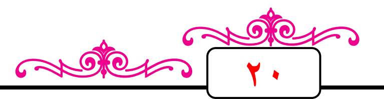
فَلا يَأْتِي صَاحِبُ بِاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلاَّ وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبَيِّنُ بُطْلانَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان:٣٣].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ – تَعَالَى – فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُون فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا.

---

(١) المراد بجند الله هنا : الذين أدوا ما أوجب الله عليهم ، وعملوا بها وهبهم من العلم النافع والعلم الصالح ، وأصغوا إلى حجج الله وبيناته، وأقبلوا على تعلم ذلك بصدق عزيمة وإخلاص النية ، ودعوا الناس إلى ذلك . قاله ابن مانع.

(٢)قال ابن القيم: فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير. والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين، لعظم منفعته وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه.
من مفتاح دار السعادة (١/٧٣).



جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ

فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ:

- مُجْمَلٍ(١).
- وَمُفَصَّلٍ(٢).

الجواب المجمل

أَمَّا الْمُجْمَلُ(٣): فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ(٤)، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا.

---

(١) وهو القاعدة العامة في جواب أهل الباطل على اختلاف أصنافهم وفي أي زمان ومكان.

(٢) وهو الرد على كل شبهة على حدة. من شرح الفوزان.

(٣) لا بد أن تعلم – رعاك الله – أربعة أمور لتدرك الجواب المجمل وهي :

أولاً: أن في القرآن محكماً ومتشابهاً، والمراد بالمحكم: ما كانت فيه الدلالة واضحة لا تحتمل إلا معنى واحداً، والمراد بالمتشابه: ما كانت فيه الدلالة غير واضحة تحتمل أكثر من معنى.

ثانياً: أن تعالى أمر بالرجوع إلى المحكم. قال ابن القيم: قسم الله سبحانه الأدلة السمعية إلى قسمين: محكم ومتشابه. وجعل المحكم أصلاً للمتشابه، وأماً له يرد إليه، فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يرد إلى المحكم، وقد اتفق المسلمون على هذا، وأن المحكم هو الأصل، والمتشابه مردود عليه. الصواعق المرسلة (٢/ ٧٧٢).

ثالثاً: أن الله تعالى ذم الذين يتبعون المتشابه.

رابعاً: أن النبي ﷺ حذَّر من الذين يتبعون المتشابه.

والمقصود من معرفة هذه الأمور الأربعة: أن نلزم صاحب الشبهات – إن كان يدعي إرادة الحق – نلزمه بأن يحتج بالمحكم دون المتشابه.

(٤) وإنما كان عظيمًا لسهولة إدراكه وفهمه لعامة الناس، ويصلح في كل مواضيع العلم.



وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران:٧].

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[1].

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِين:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢]

أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ.

أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ.

أَوْ ذَكَرَ كَلاَماً لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شيءٍ من بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لاَ تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ. وَمَا ذَكَرْتُه لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، أوالأَنْبِيَاءِ، أوالأَوْلِيَاءِ مَع قَوْلِهِم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس:١٨].

(١) رواه البخاري(٤٥٤٧) ومسلم(٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ[١].

وَمَا ذَكَرْتَه لِي - أَيُّهَا الْمُشْرِكُ -:

- مِنَ الْقُرْآنِ.

- أَوْ كَلاَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ[٢].

- وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلاَمَ اللَّهِ -عَجَّلَ- لاَ يَتَنَاقَضُ.

- وَأَنَّ كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يُخَالِفُ كَلاَمَ اللَّهِ تعالى[٣].

---

(١) أراد بذلك أمرين: الأول: أن الذين في قلوبهم زيغ يحتجون بالمتشابه ويتركون المحكم.
الثاني: أن المشركين الأولين مقرون بالربوبية، وأنهم ما كانوا مشركين إلا بتعلقهم بالأولياء ونحوهم رجاء شفاعتهم وتقربهم إلى الله زلفى.فهذان أمران محكمان.

(٢) لكن ليس في كلام الله ورسوله شيء لا يعرف معناه جميع الأمة، بل لا بد بأن يكون معروفاً لجميع الأمة أو بعضها لأنه لو كان فيه ما لا يعلم معناه أحد لكان بعض الشريعة مجهولاً للأمة، ولكن المعرفة والخفاء أمران نسبيان فقد يكون معروفاً لشخص ما كان خفياً على غيره، إما لنقص في علمه، أو قصور في فهمه، أو تقصير في طلبه، أو سوء في قصده.
انظر: تقريب التدمرية بتصرف للشيخ محمد العثيمين ص ٥٨.

(٣) أدلة الحق لا تتناقض سمعية كانت أو عقلية، فالنصوص الشرعية يصدق بعضها بعضاً، فما كان متشابهاً يرد إلى ما كان محكماً، بل نجزم أن أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية ولا عقلية إلا وهي عند التأمل حجة عليهم لا لهم. وانظر: الفتاوى (٦/ ٥١٤).
قال شيخ الإسلام: أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله. انظر: حادي الأرواح لابن القيم ص ٢٠٨.



وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ[١].

وَلكِنْ لا يَفْهَمُهُ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَلا تَسْتَهِنْ به؛ فَإِنَّهُ - كَمَا قَالَ تَعَالَى -:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٥].

الجواب المفصل

وأَمَّا:(الْجَوَابُ الْمُفَصَّلُ)[٢]:

فإنَّ أعْدَاءَ اللهِ لَهُم اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ.

---

(١) وسبب كونه جوابًا سديدًا: لأنه مشى على القاعدة الشرعية وهي رد المتشابه إلى المحكم، ولاعتماده على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والمشرك يعجز عن رده لأنه محكم، وهو سهل مفهوم للناس.

(٢) فائدة: الجواب المجمل أعظم من الجواب المفصل، أما كونه أعظم فله دلائل:

منها: أن الجواب المجمل يأتي مع جميع الشبه والجهالات، خلافاً للمفصل.

ومنها: أن الجواب المجمل يَتَأَتَّى مع العامّي ومع العالم، خلافاً للمفصَّل فهو لا يَتَأَتَّى إلا مع العالم بالأدلة والدلائل.



الشبهة الأولى:

الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم.

مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لاَ نُشْرِكُ باللَّهِ، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلاَ يَنْفَعُ، وَلا يَضُرُّ إِلاَّ اللَّهُ – وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ –، وأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، أَوْ غَيْرِهِ.

وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْلُبُ مِن اللَّهِ بِهِمْ[١].

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ.

وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا الْمُبْطِلُ.

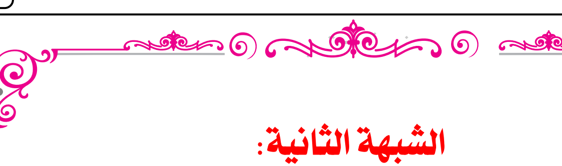
وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لاَ تُدَبِّرُ شَيْئًا.

وإِنَّمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ.

وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ.

---

(١) أي: يطلب من الله بشفاعتهم، فيجعل هؤلاء الصالحين شفعاء بينه وبين الله تعالى فيسألهم ويدعوهم. قال ابن مانع: أي: بواسطتهم؛ بأن يجعلهم وسائط بينه وبين الله القريب المجيب، وهذا الذي عليه عبّاد الأموات، وهو كفر بإجماع المسلمين. تعليقاته ص ١٣.



الشبهة الثانية:

الكفار يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ(١)، كَيفَ تَجْعَلَونَ الصَالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟! أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأنْبِيَاءَ أَصْنَاماً؟! فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ.

فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَارَ يَشْهَدُون بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للَّهِ.

وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمن قَصَدُوا إِلاَّ القُرْبَ وَالشَّفَاعَةَ.

---

(١) قال العلامة الصنعاني جواباً عن هذه الشبهة: فإن قلت : أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟ قلت: نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك، وساووهم في ذلك، بل زادوا في الاعتقاد والاستعباد، فلا فرق بينهم. اهـ. ومن المعلوم أن القرآن نزل بأسباب، فلو كان لا يُستدل به إلا في تلك الأسباب بطل استدلاله. وهذا خروج من الدين، وما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها.

انظر: تطهير الاعتقاد ص ٢٣ وتاريخ ابن غنام ٢/ ٢٨٥ بتصرف.

وقال العلامة عبد الله أبو بطين كما في الدرر السنية ٨/ ٢٣٧: وأما قول من يقول: إن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين، فلا تتناول من فعل فعلهم، فهذا كفر عظيم، مع أن هذا قول ما يقول إلا ثور مرتكس في الجهل، فهل يقول إن الحدود المذكورة في القرآن والسنة لأناس كانوا وانقرضوا؟ فلا يحد الزاني اليوم، ولا تقطع يد السارق، ونحو ذلك، مع أن هذا قول يستحى من ذكره، أفيقول هذا: إن المخاطبين بالصلاة والزكاة وسائر شرائع الإسلام انقرضوا وبطل حكم القرآن.

وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ:

- مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ الآية[1]. [الإسراء:٥٧].

ويَدْعُونَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، وَأُمَّهُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾[2] [المائدة:٧٥].

---

(١) قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٣): أي هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبيدي كما أنتم عبيدي يرجون رحمتي ويخافون عذابي كما ترجون أنتم رحمتي وتخافوني عذابي فلماذا تعبدونهم من دوني.

وقال شيخ الإسلام: والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى من دون الله فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين. سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم ومع هذا فقد نهى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع أو من حال إلى حال كتغيير صفته أو قدره ولهذا قال: ﴿ولا تحويلا﴾ فذكر نكرة تعم أنواع التحويل. الفتاوى (١٥/ ٢٢٦).

(٢) قال ابن القيم: وقد تضمنت هذه الحُجة دليلين يبطلان إلهيَّة المسيح وأمه:

أحدهما: حاجتهما إلى الطعام والشراب، وضعف بِنْيتهما عن القيام بنفسهما، بل هي محتاجة فيما يُقيمها إلى الغذاء والشراب، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلهًا؛ إذ من لوازم الإله أن يكون غنيًّا.

الثاني: أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها عنه، بل يستحي من التصريح بذكرها. =

وَاذْكُرْ له قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[(1)] [سبأ:٤٠-٤١].

وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[(2)] [المائدة:١١٦].

فَقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ.

وَكَفَرَ -أَيْضاً- مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

= ولهذا. والله أعلم. كنَّى سبحانه عنها بلازمها من أكل الطعام.. انظر: الصواعق (٢/ ٢٤٤).

(١) قال شيخ الإسلام: وكل من عبد غير الله فإنما يعبد الشيطان، وإن كان يظن أنه يعبد الملائكة والأنبياء.... ولهذا تتمثل الشياطين لمن يعبد الملائكة والأنبياء والصالحين ويخاطبونهم فيظنون أن الذي خاطبهم ملك أو نبي، أو ولي، وإنما هو شيطان، جعل نفسه ملكا من الملائكة... انظر: الفتاوى (١٤/ ٢٨٣).

(٢) قال شيخ الإسلام: فالمعبودون من دون الله سواء كانوا أولياء -كالملائكة والأنبياء والصالحين- أو كانوا أوثانًا قد تبرءوا ممن عبدهم، وبينوا أنه ليس لهم أن يوالوا من عبدهم، ولا أن يواليهم من عبدهم، فالمسيح وغيره كانوا برآء من الشرك بهم ومن إثمه.
الرد على الإخنائي ت العنزي (ص: ٢٨٦).

الشبهة الثالثة:

الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة فقط وطلبها منهم ليس بشرك

فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُم(١).

وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُور.

لا أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ.

وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ.

وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ(٢).

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُم:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر:٣].

---

(١) أي: أنهم يطلبون من الأصنام أو الصالحين أو غيرهم ممن يُعْبَد مع الله قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

(٢) هذا تناقض منه في دعواه، حيث إنه قال في دعواه: (لا أريد إلا منه) أي من الله، فكيف تتوجه إلى غير الله إذن؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: ولا ريب أن اتخاذ الشفعاء والتوجه إليهم بالقلب واللسان ينافي إسلام القلب والوجه لله وحده.. والاستشفاع بالأموات يتضمن أنواعاً من العبادة: سؤال غير الله، وإنزال الحوائج به من دون الله، ورجاءه والرغبة إليه والإقبال عليه بالقلب والوجه والجوارح واللسان؛ وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله.

انظر: القول الفصل النفيس ص ٨٦- ٩٠ باختصار.



﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[يونس:١٨] (١).

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ(٢).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمًا جيِّدًا فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا(٣).



(١) فالمشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، هم لا يعبدون الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر، ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى كما أخبر الله عنهم في الآية التي ساقها المصنف، فتكون حاله كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء.

وهكذا الآية الأخرى في قولهم:﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ قال الطبري: يعني أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله.

(٢) الشبه الثلاث هي: شبهة انتفاء الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية، وشبهة حصر الشرك في عبادة الأصنام، وشبهة أن الكفار يريدون منهم وأنه لا يريد منهم إلا الشفاعة.

(٣) إشارة إلى أنه ينبغي الحرص والاعتناء بمعرفتها وفهمها فهماً جيداً مع أجوبتها.

وإنما كانت هذه الشُّبَه هي الأكبر لمعنيين اثنين:

أما المعنى الأول: فهو استعمالهم لها، إِذْ إن جنس مشركي أهل زمان المصنف -رحمه الله- كانوا يكثرون من هذه الشبه الثلاث .

وأما المعنى الثاني: فهو أن هذه الشُّبَه إِذَا وضحت ووضح تفنيدها فكل ما يأتي من الشبه متفرع عنها ، وهي نتائج لهذه الشُّبَه ، وفيها اتكاء عليها.

الشبهة الرابعة

الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ اللَّهَ، وَهَذَا الالْتِجَاءُ إِلَيْهِمْ، وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ[(١)].

الجواب الأول:

فَقُلْ لَهُ: هَلَ أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلاَصَ الْعِبَادَةِ؟. فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلاَصُ الْعِبَادَةِ لله وحده، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ، وَلاَ أَنْوَاعَهَا[(٢)]. فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥][(٣)].

---

(١) سلك المصنف -رحمه الله- إزاء هذه الشبهة، مسلك التدرج مع الخصم، والانتقال مما هو متفق عليه مع الخصم، إلى ما هو مختلف فيه، وجعل المجمع عليه دليلاً على المختلف فيه، وتبيّن - من خلال هذا المسلك - ظهور حجة المصنف وقوة إلزامه.

وقول المشرك:(أنا لا أعبد إلا الله) ينقضه بالكلية تتمة كلامه حيث قال: (وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة) فالالتجاء من معاني الاستعاذة، والاستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها فلا تكون إلا بالله تعالى. التوضيحات ص ١٣١.

(٢) فالعبادة في اللغة هي: الطاعة مع الخضوع. وفي الشرع: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وأنواع العبادة كثيرة ؛ منها: الصلاة والزكاة والصيام والجهاد...وغيرها. التوضيحات ص ١٣٣.

(٣) عرف المصنف العبادة لهذا المشرك بالمثال؛ لأن التعريف بالمثال أقرب للفهم من غيره، =



فَإِذَا أَعْلَمتهُ بِهَذَا فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ للهِ - تَعَالَى -؟

فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، وَ«الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(١).

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفًا وَطَمَعاً، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا، أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟

فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ(٢).

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢] ، فَإِذَا أَطَعْتَ اللهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذِهِ عِبَادَةٌ؟ **فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ:** نَعَمْ(٣).

= واختار المؤلف هذه الآية دون غيرها لأنها تخص عبادة الدعاء؛ إذ ينكر هذا المشرك أن يكون دعاء الصالحين من العبادة، **ووجه الدلالة من الآية:** أن الله تعالى قرر فيها أنه هو الرب فقال : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾. والرب هو الخالق الرازق النافع الضار، ومن يملك ذلك فهو المستحق للعبادة دون من سواه ، والدعاء هو العبادة. التوضيحات ص ١٣٤.

(١) **إشارة إلى حديث ضعيف**.أخرجه الترمذي(٣٣٧١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه عبد الله بن لهيعة ضعيف اختلط. ويغني عنه حديث النعمان بن بشير عند الترمذي (٣٣٧٢) وغيره ولفظه: «الدعاء هو العبادة». وهو في الصحيح المسند لشيخنا الوادعي.

(٢) **وملخص جواب المصنف:** أن يُسأل الخصم عن معنى العبادة، فإنه لا يعرفها، فيبين له بالمثال، فيقال له : إذا دعوت الله تعالى، فهل تكون بذلك عبدته ؟ فلا بد أن يقول : نعم لأن الدعاء عبادة، فيقال له: كذلك إذا دعوت غير الله تكون بذلك عبدت غيره، لأن الدعاء عبادة . وهكذا يقال في الذبح والالتجاء ونحو ذلك. التوضيحات ص ١٣٢.

(٣) **هذا هو المثال الثاني الذي ضربه المصنف** ليبين لمن يجادله معنى العبادة ببعض أفرادها وصورها؛ فمن صور العبادة: الذبح ومثل به المصنف؛ لأنه آكد أنواع العبادة العملية المالية =

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لمخْلُوقٍ: نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ؟ **فَلابُدَّ أن يُقِر ويقُولَ:** نَعَمْ.

الجواب الثاني

وَقُلْ لَهُ - أَيْضاً: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلاَئِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللاَّتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ **فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ:** نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلاَّ فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ وَإِلاَّ فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُ الله، وَتَحْتَ قَهْرِه، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ، وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ والشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًا[1].

= وأفضلها، وقصد بهذه التقريرات أن يصل إلى بيان العبادة، وأن من صرف نوعاً منها لغير الله فقد أشرك . التوضيحات ص ١٣٥.

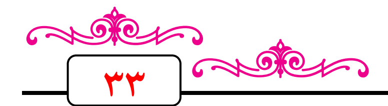
(١) الجواب على هذه الشبهة من وجوه منها:

أولاً: أن هذا القول يصادم النصوص الواضحة التي سمّت الدعاء عبادة.

ثانياً: إن قول المشرك (الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة) هذا قول باطل لأن الأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني.

ثالثًا: إن السبب الذي أوقعهم فيها قالوا أنهم ضيقوا مفهوم العبادة وظنوا أنها لا تشمل إلا نحو السجود والركوع.

رابعًا: يقال أيضاً لمن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والالتجاء إلى الصالحين عبادتهم "فلأي مقتضى صنعت هذا الصنيع" ؟ فإن دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك. التوضيحات ص ١٣٥-وما بعدها.






الشبهة الخامسة:

خلطه بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَتَبَرَّأُ مِنْهَا؟

فَقُلْ: لاَ أُنْكِرُهَا، وَلاَ أَتبَرَّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ -ﷺ- الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ، لكِنِ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤].

شروط الشفاعة المثبتة

وَلاَ تَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

وَلاَ يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلاَّ بَعْدَ أنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] .

وَهُوَ لاَ يَرْضى إِلاَّ التَّوْحِيدَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٨٥]

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلاَ تَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلاَ يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلاَ غَيرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلاَ يَأْذَنُ اللهُ تعالى إِلاَّ لأَهْلِ التَّوْحِيدِ.

تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّه، وَأَطْلُبُهَا مِنْه - سبحانهُ - فَأَقُولُ:

اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَه، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالَ هَذَا(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام: سبب الشفاعة توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له؛ فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة؛ فإن الشفاعة مبدؤها من الله، وعلى الله تمامها ن فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل في المشفوع له.

وقال ابن القيم: ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ...وهو لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ... فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله. الفتاوى (١٤/ ٤١٤) والمدارج(١/ ٣٤١).

وقال: تأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة ﷺ وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» [رواه البخاري برقم (٩٩)]. كيف جعل الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين، أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

وقال في موضع آخر عن هذا الحديث : إنها تنال بتجريد التوحيد؛ فمن كان أكمل توحيداً كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تنال بالشرك بالشفيع كما عليه أكثر المشركين وبالله التوفيق.
المدارج (١/ ٣٤١)، وتهذيب السنن (٧/ ١٣٤).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد ص ٢٩٥: وحقيقة أمر الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فهذا هو حقيقة الشفاعة ...إلى آخره.



الشبهة السادسة

النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأنَا أطْلُب منه مِمَّا أعْطَاه اللَّهُ.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأنَا أطْلُبُهُ مِمَّا أعْطَاهُ اللَّهُ.

فَالْجَوَابُ:

[الأول]

أَنَّ اللَّهَ أعطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، فقال:

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن:١٨].

وَطَلَبُكَ مِنَ اللَّهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةٌ.

وَاللَّهُ نَهَاكَ أنْ تُشْرِكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أنْ يُشَفِّعَ نبيه فيكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

الجواب الثاني:

وَأَيْضاً: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ.

فَصَحَّ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ يَشْفَعُونَ(١)، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ(٢) يَشْفَعُونَ(٣).

أَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُم الشَّفَاعَةَ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ - الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ -.

وَإِنْ قُلْتَ: لاَ، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ.

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال:« فيقول الله تعالى شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيرًا قط » رواه مسلم(١٨٣).

(٢) الأفراط هم الأطفال ؛ روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من الناس من مسلم يُتوفى له ثلاث لم يبلغن الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم».

(٣) ويمكن أن يضاف جوابان آخران في الجواب عن هذه الشبهة:

الجواب الثالث: أن الله سبحانه أعطاه الشفاعة، ولكنه ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه ومن كان مشركاً فإن الله لا يرتضيه، فقولهم : إن الله أعطى نبيه الشفاعة لا يعني أنه ملكها بإطلاق ، فهو تمليك معلق على الإذن والرضا.

قال الشيخ عبد الله أبو بطين: إطلاق القول بأن الله ملّك المؤمنين الشفاعة خطأ، بل الشفاعة كلها لله وحده... فمن أذن الله له في الشفاعة، يصح أن يقال أنه ملك ما أذن له فيه فقط، لا ما لم يؤذن له فيه، فهو تمليك معلق على الإذن والرضا لا تمليك مطلق، وسيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه لا يشفع حتى يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع ، واشفع تشفع.

تأسيس التقديس ص ٨٢.

الجواب الرابع: ما قرره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بقوله: وليس قولهم: إنه أعطى الشفاعة بمعنى ملكها وحازها كسائر العطايا والأملاك التي يعطاها البشر.

مصباح الظلام ص ٢٥٥. وانظر: تعليقات عبدالعزيز آل عبد اللطيف ص ٦٨-٦٩.

الشبهة السابعة

الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك

فَإِنْ قَالَ: أنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلاَّ.

وَلكِن الالْتِجَاء إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

الجواب الأول:

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشّرْكَ أَعْظَمَ مَنْ تَحْرِيم الزِّنا.

وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُهُ.

فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي عظَّمَهُ اللَّه، وَذَكَرَ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ؟

فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِن الشِّرْكِ - وَأَنْتَ لاَ تَعْرِفُهُ -؟

الجواب الثاني

أَم كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلاَ تَعْرِفُهُ؟

أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تعالى يُحَرِّمُهُ، وَلاَ يُبَيِّنُهُ لَنا؟!

الشبهة الثامنة

الشرك فقط عبادة الأصنام

فَإِنْ قَالَ: إنَّ الشِّرْكُ باللهِ عِبادَةُ الأَصْنامَ، وَنَحْنُ لاَ نَعْبُدُ الأَصْنامَ.

الجواب الأول

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنى عِبادَةِ الأَصْنامِ؟

أتَظُنُّ أنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ والأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْر مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ.

الجواب الثاني

وَإِنْ قَالَ: هو من قصدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بِنْيَةً عَلَى قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنا بِبَرَكَتِهِ، وُيعْطِينَا بِبَرَكَتِه. **فَقُلْ:** صَدَقْتَ.

وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ، وَالبنايَا الَّتي عَلَى الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا.

فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

الجواب الثالث:

ويقال له أَيْضاً: قَوْلُكَ (الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ)، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَدعُاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِك؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ عِيسَى، أَوْ الصَّالِحِينَ.

فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ[1].

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ[2] أَنَّهُ إِذَا قَالَ: (أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللَّهِ).

---

(١)عرّف العلماء الشرك تعريفاً جامعاً وشاملاً لأنواعه:

فقال شيخ الإسلام:وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور ، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك . الاستقامة ١/٣٤٤.

وعرّف الشيخ عبد الرحمن السعدي الشرك بتعريف جامع مانع، فقال : إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله تعالى، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، فصرفه الله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء . القول السديد ص ٤٣ ، وانظر : الحق الواضح المبين ص ٥٩.

(٢) يعني وحاصل الأجوبة عن الشبهة الثامنة هو أن هذا المشرك لا يخلو من حالات:

الأولى: أن يتوقف ولا يعرف الحق من الباطل، وهذا كاف في الرد على شبهته.

الثانية: أن يفسرها بما فسره القرآن ؛ فهذا هو المطلوب لأنه هدم أصله الذي بنى عليه. =

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ فَسِّرْهُ لِي؟

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، فَسِّرْهَا لِي؟

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ اللَّهَ.

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَسِّرْهَا لِي؟

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَهُو الْمَطْلُوبُ.

وَإِن لَمْ يَعْرِفْهُ، فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا، وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ؟

وَإِنْ فَسَّرَ ذلكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ: أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَه فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ.

وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ – وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ – هِوَ الَّذِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ منه كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

= **الثالثة:** أن يفسر عبادة الله بغير معناها – أي بمعنى باطل – فهذا تُبيَّن له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان.





الشبهة التاسعة

أنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة، وإنما يكفرون بقولهم أنهم بنات الله

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلاَئِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلاَئكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ: عَبْدُ الْقَادِرِ، وَلاَ غَيْرُهُ ابنُ اللَّهِ.

فَالْجَوَابُ:

الأول

أَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - كُفْرٌ مُسْتَقِلٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾ [الإخلاص١-٣].

وَالأَحَدُ: الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ.

والصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ.

فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ.

الجواب الثاني

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون:٩١].

فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلاً مِنْهُمَا كُفْراً مُسْتَقِلاً.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٠٠] فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ[(١)].

الجواب الثالث:

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا -أَيْضاً- أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللاتِّ -مَعَ كَوْنِهِ رَجُلاً صَالِحاً- لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللَّهِ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ.

الجواب الرابع

وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ - أَيْضاً - فِي جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ (حكْمِ الْمُرْتَدِّ) أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدّ.

وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَهُوَ مُرْتَدٌ فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ.

وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.

---

(١) نسبة الولد إلى الله، واتخاذ شركاء مع الله تعالى.





الشبهة العاشرة

أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم

وَإنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ لا يُعْبَدُونَ.

وَنَحْنُ لاَ نُنْكِرُ إِلاَّ عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللَّهِ، وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ.

وَإِلاَّ فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا حُبُّهُمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ(١).

وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلاَّ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلال(٢).

---

(١) قال العلامة السعدي: والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام :

١-أجل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم و التوفير والتبجيل .

٢-وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها .

٣-وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقة ، ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم. القول السديد ص ٧٦ – ٧٧ .

(٢) كالمعتزلة ومن تبعهم، فقد كذّب أكثر المعتزلة بالكرامات، وقالوا: لا تخرق العادة إلا لنبي. مع أن كرامات الأولياء من معجزات الأنبياء وآياتهم، فهي لا تعارض معجزات الأنبياء ، فإنما وقعت الكرامات للأولياء بسبب اتباعهم للأنبياء.

ومما يحسن التنبيه عليه أن الكرامة ليست من لوازم علو المنزلة، فقد يُعطى ضعيف الإيمان الكرامة لتقوية إيمانه وسدّ حاجته.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: ليست الكرامة من لوازم علو الدرجة، مشى قوم فوق =

وَدِينُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدَىً بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا

فَإِذَا عَرَفت أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهُ الْمُشْرِكُونَ فِي وقتنا (الاعْتِقَادَ) هُوَ الشِّرْك الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ.

فاعْلَمْ: أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمريْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لاَ يُشْرِكُونَ، وَلاَ يَدْعُونَ الْمَلاَئِكَةَ، أَوْ الأَوْلِيَاءَ، أَوْ الأَوْثَانَ مَع اللَّهِ إِلاَّ فِي الرَّخَاءِ. وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾

إِلَى قَوْلِهِ ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر:٨]

= البحار، ومات عطشاً من هو أفضل منهم وأقوى إيماناً، وقد كثرت في القرن الثاني والثالث، وفي القرن الأول من هو أفضل وأجل ممن وقعت له هذه الخوارق.

انظر: النبوات لابن تيمية ص٢، ٤، ١٠، ٦٧، ١٢١، ٢٨٢، ومدارج السالكين ٢/٥٠٥. والفتاوى ١١/٢٨٣، وتحفة الطالب والجليس ص ٧٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ -الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ - يَدْعُونَ اللَّهَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ.

وَأَمَّا فِي الضَّرَاءِ والشِّدَّةِ فَلاَ يَدْعُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لا شريك له، وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ.

تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا، وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ.

وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهْماً رَاسِخًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وبِهِ التَّوفِيق.

والأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ: إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلاَئِكَةً.

أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَاراً، وَأَشْجَاراً مُطِيعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، لَيْسَتْ بِعَاصِيَةٍ.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُم الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُم الْفُجُورَ مِن الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلاَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، وَالَّذِي لاَ يَعْصِي - مِثْلِ الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ - أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهَدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَه، وَيُشْهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولاً وَأَخَفُّ شِرْكاً مِنْ هَؤُلاَءِ: فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاَءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَهِي مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا.

الشبهة الحادية عشرة

من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافرًا ولو أتى بما ينافي التوحيد

وَهِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبونَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا.

وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، ونُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ، فكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أولئِكَ؟

فَالْجَوَابُ:

الأول:

إجماع العلماء على كفر من آمن ببعض وكفر ببعض

أَنَّهُ لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ، وَكَذَّبهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلاَمِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ، وَجَحَدَ بَعْضَهُ.

كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ.

أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، وَالصَّلاَةِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكاةِ.

أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّوْمِ.



أَوْ أَقَرَّ - بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الْحَجِّ.

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧].

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ، وَمَالُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء١٥٠ - ١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ - تَعَالَى - قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ الكَافِرُ حَقًا زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ.

وَهَذِهِ هِيَ التِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا(١).

(١) قال عبد العزيز آل عبد اللطيف في تعليقات على كشف الشبهات (ص ٦٩): لعله يقصد ببعض أهل الأحساء: أحمد بن عبد الكريم، فقد كتب لهذا الرجل رسالة جواباً عما وقع فيه من الاشتباه والإشكال، حيث يفهم من هذه الرسالة أن أحمد بن عبد الكريم تلبّس بهذه الشبهة، فزعم أن من أظهر الإسلام لا يكفر ولا يقتل، وإن وقع في ناقض من نواقض الإسلام، فأجاب الشيخ عن هذه الشبهة وأورد الأدلة الشرعية والوقائع التاريخية التي تقرر أن من أظهر الشرك أو الكفر فهو كافر حلال الدم والمال. مؤلفات الشيخ ٥/٢١٢-٢٢٤.

الجواب الثاني:

التوحيد أعظم فريضة، فكيف يكفر من جحد الصلاة ولا يكفر من جحد التوحيد

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كل شَيْءٍ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ أَنَّه كَافِرٌ حَلاَلُ الدَّمِ وَالْمَالِ بِالإِجْمَاعِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ الْبَعْثَ.

وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وَجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّه لاَ يُجْحَدُ هَذَا، وَلاَ تَخْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ - كَمَا قَدَّمْنَا -.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ.

وَهُوَ أَعْظَمُ مِن الصَلاَةِ، والزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ.

فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ - وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ - وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لاَ يَكْفُرُ؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْلِ!!.

الجواب الثالث

قتال الصحابة لبني حنيفة مع أدائهم لبعض واجبات الدين

وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلاَءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَيُؤَذِّنُونَ، وَيُصَلُّونَ، ويَصُومُونَ(١). فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يقولونَ: إنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ.

قُلْنَا: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً إِلى رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلا الصَّلاَةُ.فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ أَوْ يُوسُفَ(٢) أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا فِي مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟ سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم:٥٩].

---

(١) ومراد المؤلف من إيراد قصة الردة ظاهرة، ففيها ردّ على تلبيس علماء السوء في زمانه، حيث زعموا أن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم وإن أظهر الكفر بقوله أو عمله.

(٢) قال الشيخ محمد بن إبراهيم: يوسف وشمسان وتاج أسماء أناس كفرة طواغيت، فأما تاج فهو من أهل الخرج تصرف إليه النذور ، ويُدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور ، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه، وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يدعى فيهم الدعاوى الكاذبة ، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة. وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض، وله أولاد يعتقد فيهم، وأما يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله.

أما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٣٤ - ١٣٥ باختصار.

الجواب الرابع

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِالنَّارِ[١] كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ﷺ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ ﷺ مِثْلَ الاعْتِقَادِ فِي (يُوسُفَ)، وَ(شَمْسَانَ) وَأَمْثَالِهِمَا.

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ؟

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟

أَمْ تَظُنُّونَ أَن الاعْتِقَاد - فِي (تَاجٍ) وَأَمْثَالِهِ لاَ يَضُرُّ.

وَالاعْتِقَادُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يُكَفِّرُ؟!

---

(١) تحدث المؤلف عن هؤلاء الغلاة في مواضع متعددة من رسائله، ونقل إجماع الصحابة على كفر من ادعى ألوهية عليّ بن أبي طالب -ﷺ- وقتلهم.

ومما قاله: قصة أصحاب عليّ بن أبي طالب لما اعتقدوا فيه الإلهية التي تُعقد اليوم في أناس من أكفر بين آدم وأفسقهم، فدعاهم إلى التوبة فأبوا، فخدّ لهم الأخاديد، وملأها حطباً، وأضرم فيها النار، وقذفهم فيها وهم أحياء . هذا وهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويقرؤون القرآن .

إلى أن قال - واعلم أن جناية هؤلاء إنما هي على الألوهية، وما علمنا فيهم جناية على النبوة، والذين قبلهم- يعني أتباع مسيلمة الكذاب - جنايتهم على النبوة، وما علمنا لهم جناية على الإلهية، وهذا يبين لك شيئاً من معنى الشهادتين الذين هما أصل الإسلام. انظر : تاريخ ابن غنام ١٩٨/٢، ٢٤٧، ٢٧٦، ومؤلفات الشيخ ٤٤/٣.

الجواب الخامس

وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ - الَّذِينَ مَلَكُوا الْمَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ - كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَيُصَلّوْنَ الْجُمُعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دَوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ - أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَقِتَالِهِمْ. وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُم الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ(١) .

---

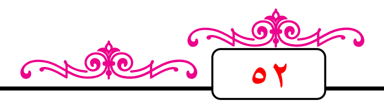
(١) والعبيديون هو الذين يسمون أنفسهم - كذباً - بالفاطميين.

فالعبيديون نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس دولتهم في المغرب ومصر، ووالد الخلفاء العبيديين، ونسبهم المؤلف إلى القداح أحد مؤسسي الباطنية، واسمه ميمون بن ديصان، ويعرف بالقداح. والعبيديون من الباطنية الذين ظاهر مذهبهم التشيع والرفض، وباطنه الكفر المحض.ولقبوا بالباطنية لقولهم إن الناس يعلمون علم الظاهر، والإمام يعلم علم الباطن، وحرّفوا معاني القرآن وجعلوا هذه التحريفات هي علم الباطن، وقصدهم من ذلك هدم عقيدة التوحيد وإبطال الشرائع والخروج عن أحكام الدين .

قال شيخ الإسلام: وبالجملة فعلم الباطن الذين يدّعون ، مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، بل هو جامع لكل كفر.

وقال عبد القاهر البغدادي: والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع.

وقال الغزالي عنهم: والمنقول عنهم الإباحة المطلقة، واستباحة المحظورات، واستحلالها وإنكار الشرائع. وما ذكره المؤلف -رحمه الله- عنهم أنهم يشهدون الشهادتين ويصلون الصلوات، فلعله باعتبار أنهم يتظاهرون بذلك، لكن حقيقتهم أنهم أعظم كفراً من اليهود والنصارى، فأي كفر أعظم من نقض التوحيد والقول بقدم العالم، والطعن في النبوات، وإبطال =



الجواب السادس

وَيُقَالُ أَيْضاً -: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلاَّ لأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتكْذِيبِ الرُّسُولِ، وَالْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ: حُكْمِ الْمُرْتَدِّ)؟ وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ.

ثُمَّ ذَكَرُوا أنواعا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حتّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا[1].

=الشرائع، واستحلال المحرمات.وفي كلام المؤلف في كتابه مختصر سيرة الرسول ﷺ ما يدل على ذلك، وهو أكثر دقة وتفصيلاً، حيث قال عنهم: وأظهروا شرائع الإسلام ، وإقامة الجمعة والجامعة، ونصبوا القضاة والمفتين، لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة، وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم، فأجمع أهل العلم أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب. انظر: مجموع الفتاوى ١٣٥/٣٥، الفرق بين الفرق ص ٢٩٤، فضائح الباطنية ص ٤٦ مؤلفات الشيخ ٤٧/٣، وانظر : تاريخ ابن غنام ١٩٨/٢، ٢٤٧. كله بواسطة تعليقات على كشف الشبهات (ص ٩٤-٩٥).

(١) ومقصود المؤلف -رحمه الله- أن الكفر قد يكون بكلمة عابرة - لا يُلقى لها بال - أو بمجرد كلمة مزح واستهزاء، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار». أخرجه الترمذي (٢٣١٤)، وابن ماجه (٤٠١٨)، وغيرهما، وأصله في البخاري(٦٤٧٨).

وعن بلال بن الحارث رضي الله عنه - مرفوعاً - : «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة».

أخرجه أحمد ٤٦٩/٣، والترمذي (٢٣١٩)، وغيرهما .

مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ[(١)].

أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزْحِ وَاللَّعِبِ.

الجواب السابع

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]. أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَع كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُوْنَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى – فِيهِمْ:

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥– ٦٦]. فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللَّهُ في كتابه أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ – وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ – قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزْحِ واللَّعبِ.

---

(١) أي قد يكون الكفر قولاً باللسان ولو ادعي أن القلب غير معتقد بهذا الكفر القولي .
قال شيخ الإسلام: وإن سبّ الله أو سبّ رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواءً كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل. الصارم المسلول ص ٥١٢.
وقال ابن نجيم الحنفي: إن من تكلم بكلمة الكفر هازلاً ، أو لاعباً كفر عند الكل ، ولا عبرة باعتقاده. البحر الرائق ٥/١٣٤ .

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وِهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ، أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ.

ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ[1].

الجواب الثامن

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ - أَيْضًا -:

مَا حكَى اللَّهُ - تعالى- عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَع إِسْلاَمِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلاَحِهِمْ - أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِن الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذاتَ أَنْوَاطٍ كما لهم ذاتُ أَنْوَاطٍ»[2].

فَحَلَفَ ﷺ أَنَّ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ بنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾[3][الأعراف:١٣٨].

---

(١) قال الشيخ ابن مانع ص ٢٩: وذلك أن شبهتهم من أقوى الشبه تلبيساً وأشد تدليساً، فإن من شهد أن لا إله إلا الله وصلى وصام، عظم إطلاق الكفر عليه عند الجاهل، ولم يعلم أنه هدم هذه الأعمال بشركه ودعوته غير الله، فلم تنفعه عبادته، لأن من لم يأت بالتوحيد الخالص لم يعبد الله ، فلهذا صار هذا الجواب من أنفع الأجوبة.

(٢) صحيح.أخرجه الترمذي(٢١٨٠) وغيره.

(٣) وقد بيّن الشيخ عبد الرحمن بن حسن -في فتح المجيد ١/٢٦١-: وجه الشبه بين المقالتين فقال : فشبه النبي ﷺ مقالتهم هذه بمقالة بني إسرائيل بجامع أن كلاً طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله وإن اختلف اللفظان، فالمعنى واحد ، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

الشبهة الثانية عشرة

أن بعض أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحاب رسول الله ﷺ لم يكفروا مع شناعة طلبهم

وَلَكِنْ لِلمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ:

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قالوا: اجعل لنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. لم يكفُرُوا.

فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ:

إِنَّ بَنِي إِسْرَائيلَ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَلاَ خِلاَفَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا.

ولاَ خِلاَفَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُم النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا. وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ(١). وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ:

---

(١) وجواب أخر: أن القوم كانوا حدثاء عهد بكفر - كما جاء في أول الحديث - فلا يكفرون لقرب عهدهم بالإسلام، ويعذرون بجهللهم حتى تبلغهم الرسالة وتقوم عليهم الحجة.

ولذا قال الشيخ عبد الله أبو بطين: فإن قيل: فالنبي لم يكفّرهم بذلك قلنا: هذا يدل على أن من تكلم بكلمة كفر جاهلاً بمعناها، ثم نُبِّه فتنبه أنه لا يكفر، ولا شك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبي ﷺ عليهم لكفروا.

انظر: الفتاوى ٢٨/ ٥٠١، ١١/ ٤٠٧، السبعينية ص ٣١١، مؤلفات الشيخ ٣/ ١١، والدرر =

أَنَّ الْمُسْلِمَ - بَل الْعَالِمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ الشِّرْكِ - لاَ يَدْرِي عَنْهَا.

فَتُفِيدُ: التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ.

وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ [(١)]: (التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ) أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ، وَمكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

وَتُفِيدُ - أَيْضًا -: أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلاَمِ الْكُفْرِ - وَهُوَ لاَ يَدْرِي - فَنُبِّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ أَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَتُفِيدُ - أَيْضًا- أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الْكَلاَمُ تَغْلِيظاً شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

= السنية ٨/ ٢٤٤ ، الانتصار ص ٣٥ ، تأسيس التقديس ص ٦٥، ٦٦ .

وقد يقال: وهو جواب ثالث: إن سؤالهم شرك أصغر، ولو كان أكبر لصاروا مرتدين ولأمرهم بتجديد إسلامهم، وقد أشار المؤلف إلى هذا الجواب في مسائل كتاب التوحيد حيث قال : إ ن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا. وانظر التوضيح للشيخ عبدالله الدويش ص٧٢. بواسطة تعليقات آل عبد اللطيف ص١٠٢-١٠٣.

(١) قال صاحب تعليقات على كشف الشبهات (ص: ٨٢): لعل المؤلف يشير إلى مقالة المويس (ت ١١٧٥هـ) أحد الخصوم الأداء الذين ناهضوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وسعوا إلى الصدّ عن دين الله تعالى.وقد حكى الشيخ مقالته في إحدى رسائله : « ومع هذا يقول لكم شيطانكم المويس أن بنيات حرمة وعيالهم يعرفون التوحيد فضلاً عن رجالهم».



الشبهة الثالثة عشرة

من أتى بالتوحيد فإنه لا يكفر ولو فعل ما يناقضه

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى: يَقُولُوْنَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أَسَامَةَ ﷺ قَتْلَ مَنْ قَالَ: (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)، وَقَالَ ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» (١).

وَكَذَلِكَ قَوْلُه ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ» (٢).

وَأَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمرُادُ هَؤُلاَءِ الْجَهَلَةِ: أَنَّ مَنْ قَالَهَا فإِنَّه لاَ يَكْفُرُ، وَلاَ يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

الجواب المجمل

فَيُقَالُ لِهَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجُهَّالِ:

مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ، وَسَبَاهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِالنَّارِ.

---

(١) أخرجه البخاري(٤٢٦٩) ومسلم(١٥٩) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري(١٣٩٩) ومسلم(٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَهَؤُلاءِ الْجَهَلَةُ مُقِرُّونَ:

أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ كَفَرَ وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَهَا -.

فَكَيْفَ لاَ تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئًا مِن الْفُرُوعِ؟ وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ أَسَاسُ دِينِ الرُّسُلِ، وَرَأْسُهُ؟

وَلكِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ.

الجواب المفصل

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ادَّعَى الإِسْلاَمَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَى الإِسْلاَمَ إِلاَّ خَوْفًا عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤] الآية، أَيْ تَثَبَّتُوا. فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ، وَالتَّثَبُّتُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلاَمَ قُتِلَ لِقَوْلِهِ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، وَلَوْ كَانَ لاَ يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًى.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْناه: أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ و الإِسْلاَمَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ إِلاَّ أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ».

وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ».

هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»(١).

«لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(٢).

مَع كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً، وتَهْلِيلاً، حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ أنفُسَهُم عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِن الصَّحَابَةِ. فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، وَلاَ كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلاَ ادِّعَاءُ الإِسْلاَمِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بَنِي حَنِيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقْ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِباً عَلَيْهِمِ.

فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ التي احتجوا بها مَا ذَكَرْنَاه.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٦١١)ومسلم(١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٧٤٣٢)ومسلم(١٠٦٤)من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الشبهة الرابعة عشرة

إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا

وَلَهُمْ شُبْهَة أُخْرَى، وَهِيَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُون، حَتَى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شِرْكاً.

فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ؛ فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالْمَخلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لاَ نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى في قصة موسى عليه السلام:

﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥] .

وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ[١] .

وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ والأنبياء وغيرهم، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ اللَّهُ[٢] .

---

(١) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: " .. استغاثة المخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدو... هذا جائز لا نزاع فيه. منهاج التأسيس والتقديس ص ٣٤٦.

(٢) وهي الاستغاثة الشركية.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، فَاستِغَاثَتُهُم بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَةِ مَنْ كَرْبِ المَوْقِفِ(١).

وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ، يُجَالِسُكَ، وَيَسْمَعُ كَلاَمَكَ، تَقُولُ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي(٢).

---

(١) قال المصنف كما في مجموع الرسائل(٤/٢٣٩): وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل هو من باب سؤال الحي الحاضر، والتوسل إلى الله بدعائه كما كان الصحابة ﭫ يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء كما في حديث الاستسقاء وغيره، ولما توفى الله رسوله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئاً من ذلك البتة، ففرَّقَ أصحاب رسول الله ﷺ– وهم أعلم الأمة وأفضلها – بين حالتي الحياة والمات.

(٢) فصّل شيخ الإسلام ﵀ في مسألة طلب الدعاء من الغير فقال: "من قال لغيره من الناس : ادع لي – أو لنا – وقصده أن ينتفع ذلك المأمور بالدعاء، وينتفع هو أيضاً بأمره ويفعل ذلك المأمور به كما يأمره بسائر فعل الخير؛ فهو مقتد بالنبي ﷺ مؤتم به ليس هذا من سؤال المرجوح ، وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته لم يقصد نفع ذلك والإحسان إليه ؛ فهذا ليس من المقتدين بالرسول ﷺ المؤتمين به في ذلك ، بل هذا هو من السؤال المرجوح الذي تركه إلى الرغبة إلى الله ورسوله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله ، وهذا كله من سؤال الأحياء السؤال الجائز المشروع ..". الفتاوى(١/١٩٣). والأصل في سؤال الناس: التحريم، إلا في طلب العلم، وما يضطر إليه الإنسان.

قال شيخ الإسلام: سؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيح للضرورة، وتركه توكلاً على الله أفضل. وقد ذكر ﵀ مفاسد سؤال الخلق فقال: فإن سؤال المخلوقين فيه ثلاث مفاسد:
مفسدة الافتقار إلى غير الله وهي نوع من الشرك، ومفسدة إيذاء المسؤول وهي نوع ظلم الخلق، وفيه ذل لغير الله وهو ظلم للنفس.. الفتاوى (١/١٨١، ١٩٠).

كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ فِي حَيَاتِهِ(١).

وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَحَاشَا، وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ(٢).

بَلْ أَنكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ(٣). فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفسه ﷺ؟!

---

(١) أي: يسألونه الدعاء . قال شيخ الإسلام: لم يعرف قط أن الصديق ونحوه من أكابر الصحابة سألوا شيئاً من ذلك ولا سألوه أن يدعو لهم، وإن كانوا يطلبون منه أن يدعو للمسلمين .. وإنما كان سأله ذلك بعض المسلمين، كما سأله الأعمى أن يرد عليه بصره، وكما سألته أم سليم أن يدعو الله لخادمه أنس، وكما سأله أبو هريرة رضي الله عنه أن يدعو الله أن يحببه وأمه إلى عباده المؤمنين، ونحو ذلك. الفتاوى (١/١٨٦).

(٢) أي: سألوه الدعاء. قال شيخ الإسلام: وما أحفظ لا عن صحابي ولا عن تابعي ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده ، ولا روى أحد في ذلك شيئاً لا عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الأئمة المعروفين ، وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته وذكروا فيه من الآثار، فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفاً واحداً فيما أعلم. اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٢١).

(٣) من ذلك: ما ورد عن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة.

ومن ذلك أيضاً: ما روى عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: قال سهيل بن أبي سهيل: " رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، قال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما =



الشبهة الخامسة عشرة

عرض جبريل على إبراهيم أن يغيثه فلو كان شركًا لما فعله

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى، وَهِي قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ[1].

= كنتم ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٣٤٥)، وعبد الرزاق (٣/٥٧٧).

فهذه السُّنة مخرجها من أهل البيت وأهل المدينة الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا لها أضبط.

ومن ذلك: ما روي عن مالك رحمه الله أنه قال: " لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي. وقال مالك أيضاً: " ذلك لأن هذا هو المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت أو يا أبتاه، ثم ينصرف، ولا يقف يدعو". فرأى مالك ذلك من البدع.

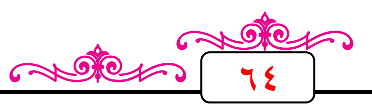
انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٤، وإغاثة اللهفان (١/١٥١) منهاج السنة ٢/٤٤٤.

وانظر: كتاب الدعاء للعروسي(٢/ ٦١٠).عن كتاب التوضيحات للهبدان ص ٢٤٢-٢٤٣.

(١) قال شيخ الإسلام: وما يروى أن الخليل لما ألقي في المنجنيق، قال له جبريل: سل، قال حسبي من سؤالي علمه بحالي، ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: حسبي الله ونعم الوكيل ، قال ابن عباس: قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .

وقد روي أنه جبريل قال: هل من حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وقد ذكر هذا الإمام أحمد وغيره. انتهى. مجموع الفتاوى ١/١٨٣، وانظر : ٨/٥٣٩ .

=



قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الاسْتِغَاثَةُ بِجِبرِيلَ عليه السلام شِرْكاً لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبهَةِ الأُولَى فَإِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ - كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ - :﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[النجم:٥].

فَلَوْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَهم وَمَا حَوْلَهَا مِن الأَرْضِ، وَالْجِبَالِ، وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ، أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ.

وَلَوْ أَمَرَهُ اللَّهُ تعالى أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَكَانٍ بَعيْدٍ عنهم لَفَعَلَ.

وَلَوْ أَمَرَهُ أَن يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَى رَجُلاً مُحْتَاجاً، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَن يُقْرِضَهُ أَوْ يَهَبَهُ شَيْئاً يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ إلى أن يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ لاَ مِنَّةَ فِيهِ لأَحَدٍ.

فَأَيْنَ هَذَا مِنْ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

= وأما رواية:(أما إليك فلا)، فقد رواها ابن جرير في تفسيره (٤٥/١٧) بإسناده إلى معتمر بن سليمان عن بعض أصحابه موقوف. ولا تصح لجهالة أصحاب المعتمر.



خاتمة

وَلْنَخْتِمْ الْكِتَابَ بِذِكْرِ آيَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ مما تَقَدَّمَ.

لكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الْكَلاَمَ:

١- لِعِظَمِ شَأْنِهَا.

٢- وَلِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَنَقُولُ: لاَ خِلاَفَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ:

- بِالْقَلْبِ.
- وَاللِّسَانِ.
- وَالْعَمَلِ: فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ الرّجُلُ مُسْلِماً(١).

فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ، كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا(٢).

---

(١) وضح الشيخ -رحمه الله- هذه المسألة في إحدى رسائله بقوله : اعلم رحمك الله أن دين الله يكون على القلب بالاعتقاد ، وبالحب والبغض ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر ، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفِّر ، فإذا اختل واحدة من هذه الثلاث كفر وارتد. انظر: الدرر السنية ١٠/٨٧.

(٢) قال ابن القيم: وأما كفر الإباء والاستكبار، فنحو كفر إبليس ، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول ، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل.

وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَاسِ، يَقُولُونَ: (هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنهُ الحَقُ، وَلكِنْ لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلاَ يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلاَّ أَنْ نوَافِقَهُمْ)، وغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ(١).

وَلَمْ يَدْرِ الْمِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلاَّ لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَار، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [التوبة:٩].

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾[النحل:٨٣] .

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِراً – وَهُوَ:

– لاَ يَفْهَمُه(٢).

---

(١) أوضح كثير منها في مسائل الجاهلية ص ٨-١٠ : وهي من الرابعة إلى الحادية عشرة فيه.

(٢) قوله: (وهو لا يفهمه): أي الأمر الذي يدخل الإنسان به في الإسلام. و(لا يعتقده) فهو بمجموع الأمرين منافق. أما معرفة تفاصيل الدين فلا يلزم عوام المسلمين أن يتعلموها.

قال الشيخ سليمان بن سحمان: وأما من ظاهره لا إسلام ولا كفر، بل هو جاهل فنقول : هذا الرجل الجاهل إن كان معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو مسلم ولو كان جاهلاً بتفاصيل دينه، فإنه ليس على عوام المسلمين ممن لا قدرة لهم على معرفة تفاصيل ما شرعه الله ورسوله أن يعرفوا على التفصيل ما يعرفه من أقدره الله على ذلك من علماء المسلمين وأعيانهم مما شرعه الله ورسوله من الأحكام الدينية ، بل عليهم أن يؤمنوا بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً كما قرر ذلك شيخ الإسلام في المناهج ، وإن لم يوجد معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو كافر، وكفره هو سبب الإعراض عن تعلم دينه لا علمه ولا تعلمه ولا عمل به. الدرر السنية (٨/٢٥٧) وانظر: مجموع الفتاوى(٧/٢٧٣).

- وَلاَ يَعْتَقِدهُ بِقَلْبِهِ - فَهُوَ مَنَافِقٌ في الدرك الأسفل من النار وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَسألةٌ طَوِيلَةٌ تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ:

تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ، وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ به؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دنيَا، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُداراة(١).

وَتَرَى مَنْ يَعْمَل بِهِ ظَاهِرًا لاَ بَاطِناً.

فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فإِذَا هُوَ لاَ يَعْرِفُه(٢).

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْم آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:

أُولاَهُمَا: مَا تَقَدَّمَ، من قَوْلُهُ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦].

---

(١) وحاصل أسباب ترك العمل بالحق بعد معرفته سبعة أعذار باطلة كما سيذكرها بعد:
١-نقص دنيا. ٢- أو جاه. ٣- أو مداهنة. ٤- أو مشحة بالوطن. ٥- أو مشحة بالأهل والعشيرة. ٦- أو مشحة بالملك والرئاسة والزعامة. ٧- أو على وجه المزح واللعب.

(٢) فالإيمان له جانبان: فالأول باطنه وحقيقته؛ وهو ما يتعلق بالقلب قولاً وعملاً، والجانب الآخر - وهو الظاهر - وهو ما يتعلق بالجوارح.

قال شيخ الإسلام: إن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة. فإن المنافقين الذين قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس، ويصومون ويحجون، ويغزون، والمسلمون يناكحونهم، ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ، ولم يحكم النبي في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر. الفتاوى (٧/ ٢١٠).

فَإِذَا تحقَّقت أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ اللَّعبِ و المَزْحِ(١).

تبيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتكلَّمُ بِالْكُفْرِ، أو يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لأَحَدٍ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتكلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦- ١٠٧].

فَلَمْ يَعْذُرُ اللَّهُ مِنْ هَؤُلاَءِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ.

وَأَمَّا غَيْرُ هَذا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِه، سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفاً، أَوْ مُدَارَاةً لأَحَدٍ(٢)، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِن الأَغْرَاضِ إلاَّ المُكْرَهَ.

---

(١) بيّن المؤلف هذا المزح والاستهزاء وأنواعه فقال: فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك- يعني مقال هؤلاء المنافقين-، وأما الفعل فمثل: مدِّ الشفة، وإخراج اللسان، أو رمز العين، مما يفعله كثير من الناس عند ما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد. تاريخ نجد ص ٤٥٢.

(٢) مراده بذلك المداراة المذمومة والتي بمعنى المداهنة، والفرق بين المدارة والمداهنة وضحه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بقوله: المداراة درء شر المفسد بالقول اللين وترك الغلظة، أو الإعراض عنه إذا خيف شره وحصول شيء منه أكبر. =

وَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

الأُولَى: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل:١٠٦]، فَلَمْ يَسْتَثْنِ الله إِلاّ المُكْرَه.

وَمَعْلُومٌ أنَّ الإنْسَانَ لاَ يُكْرَهُ إِلا عَلَى: الْكَلاَمِ أو الْعَمَلِ، وأما عَقِيدَةِ الْقَلْبِ، فَلاَ يُكْرِهُهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٧].

فَصَرَّحَ أنَّ هذا الكفر والْعَذَاب لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أو الجَهْلِ، أو الْبُغْضِ لِلدِّيْنِ، أَو مَحَبَّةَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ. وَالله ﷻ أَعْلَمُ. والحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

= والمداهنة ترك ما يجب لله من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغافل عن ذلك لغرض دنيوي وهوى نفساني. الدرر السنية ١١/٨٥.

الفهرس

مقدمة..٣
اسم الكتاب...٥
موضوع الكتاب..٦
كشف الشبهات ٧
جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ ٢٠
الجواب المجمل..٢٠
الجواب المفصل..٢٣
الشبهة الأولى:الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم. ٢٤
الشبهة الثانية: ٢٥
الكفار يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما....................٢٥
الشبهة الثالثة: ٢٨
الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة فقط وطلبها منهم ليس بشرك ٢٨
الشبهة الرابعة ٣٠
الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة ٣٠
الجواب الأول: ٣٠
الجواب الثاني ٣٢
الشبهة الخامسة: ٣٣
خلطه بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية ٣٣

شروط الشفاعة المثبتة ٣٣
الشبهة السادسة: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُب منه مِمَّا أعْطَاهُ اللهُ ٣٥
[الأول] ٣٥
الجواب الثاني: ٣٥
الشبهة السابعة: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك ٣٧
الجواب الأول: ٣٧
الجواب الثاني ٣٧
الشبهة الثامنة: الشرك فقط عبادة الأصنام ٣٨
الجواب الأول ٣٨
الجواب الثاني ٣٨
الجواب الثالث: ٣٩
الشبهة التاسعة:
أنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة، وإنما يكفرون بقولهم أنهم بنات الله ٤١
الأول ٤١
الجواب الثاني ٤١
الجواب الثالث: ٤٢
الجواب الرابع ٤٢
الشبهة العاشرة: أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم ٤٣
شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا ٤٤
الشبهة الحادية عشرة ٤٦
من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافرًا ولو أتى بما ينافي التوحيد ٤٦
الأول: ٤٦
إجماع العلماء على كفر من آمن ببعض وكفر ببعض ٤٦

الجواب الثاني: ٤٨
التوحيد أعظم فريضة، فكيف يكفر من جحد الصلاة ولا يكفر من جحد التوحيد ٤٨
الجواب الثالث.. ٤٩
قتال الصحابة لبني حنيفة مع أدائهم لبعض واجبات الدين ٤٩
الجواب الرابع ٥٠
الجواب الخامس ٥١
الجواب السادس.. ٥٢
الجواب السابع.. ٥٣
الجواب الثامن ٥٤
الشبهة الثانية عشرة.. ٥٥
أن بعض أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحاب رسول الله ﷺ لم يكفروا مع شناعة طلبهم.. ٥٥
الشبهة الثالثة عشرة: من أتى بالتوحيد فإنه لا يكفر ولو فعل ما يناقضه ٥٧
الجواب المجمل.. ٥٧
الجواب المفصل.. ٥٨
الشبهة الرابعة عشرة.. ٦٠
إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا ٦٠
الشبهة الخامسة عشرة.. ٦٣
عرض جبريل على إبراهيم أن يغيثه فلو كان شركًا لما فعله ٦٣
خاتمة.. ٦٥
الفهرس.. ٧٠